كتب إسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الثقافة الإسلامية
بين ماضيها وحاضرها

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجه

« ٦٢ »
السنة السادسة
١٥ من جمادى الاولى ١٣٨٦ هـ
٣١ أغسطس ١٩٦٦ م

يشرف على إصدارها :
محمد توفيق عويضة



بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ».

(فاطر : ٢٨)



مقدمة

مفهوم الاسلام ومفهوم العلم يتلاقيان ويتآخيان ولا ينفصلان ، فالاسلام هو دين الثقافة والمعرفة ، كما أنه دين التوحيد والفطرة

وما أكثر ما ذكر العلم فى القرآن الكريم ، ونوه به ، ورد الله عز وجل اليه كل الادراك والتمييز والمعرفة

واذا كان الانسان حيوانا ناطقا فى عرف أرسطو ومدارسه المنطقية ، فان رجال الفكر الحديث يعرفونه بأنه « حيوان مفكر » وقد سبق الى ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » فنبه على أن شرف الانسان وبلوغه غاية انسانية ، انما يكون بالعلم ، لأن العلم فى الاسلام هو كل شيء ، وهو ركن من أركانه ، ودعامة من دعائمه

ولقد نال العلم فى الاسلام كل شرف ومنزلة رفيعة ، وصار بعد قليل من ظهور الاسلام هو كل شيء فى حياة المسلمين ، وهو الذى يقاس به منازل الناس ودرجاتهم فى المجتمع الاسلامى ٠

وقد أحاط العلماء المسلمون العلم بكثير من التقدير والاجلال، وجعلوا له آدابا وسننا ، واتخذوا له مناهج وطرقا ، وخلعوا عليه الكثير من صور التكريم ٠

ولم تلبث الثقافة والمعارف الاسلامية أن نمت وازدهرت فى ظلال الاسلام ورعايته ، ونبغ الكثير من العلماء المسلمين فى كل فروع المعرفة ، وأخذوايجدون فى ميدان البحث والكشف والتجديد والابتكار بكل ما أوتوا من وسيلة ، ولم تقف أمامهم عقبة من العقبات، ولا حائل من الحوائل ، وفى كل العصور الاسلامية كان للعلماء المسلمين مجال مشرف وواسع وعظيم فى خدمة الثقافة والانسانية.

وعلى أيدى العلماء المسلمين فتحت مغاليق الثقافات القديمة ، وذللت صعابها ، وترجمت كتبها ، وحفظت علومها وآدابها .

وما ألفه العلماء المسلمون أو ترجموه من مختلف اللغات بحر زاخر لايمكن سبر غوره ، أو احصاء مداه .

وقد صارت الثقافة بعد قليل هى الطابع المميز للشعب الاسلامى والعربى ، واتسع مدلولها فانتظمت الاسلام نفسه وهو دين هذه الأمة ، كما انتظمت آدابها وأخلاقها وتقاليدها ومعارفها الموروثة ونظمها التى تسير عليها وما اقتبسته من الثقافات القديمة

وهذه الثقافة هى كل شىء فى مقومات الأمة الاسلامية ، وهى عنوان شخصيتها ، ومظهر مثالياتها وقيمها ، وهى التى خلفت الثقافات القديمة وورثتها ، وكانت مواطنها هى مواطن الأديان السماوية ، والكتب المنزلة ، وقد عملت هذه الثقافة فى خدمة السلام والانسانية والرخاء ورفاهية بنى البشر أعمالا جليلة ، وحققت مفهوم السعادة المادية والروحية للانسان ، وأعزت من منزلته وكرمته تكريما ورفعت من درجته فى الحياة كانت الثقافة فى فى الاسلام حية ومتطورة ومتجددة ، وتعمل فى ميادين علمية خالصة وتعتز بشرف العلم وقدسيته

وفى هذه الصفحات سوف نتتبع الثقافة الاسلامية فى نشأتها وتطورها ، وفى مناهجها وابتكاراتها ، وفى دقائق حياتها وأطوارها وفى خصائصها ومقوماتها ، بما فى وسعنا من طاقة ،والله ولى التوفيق وهو الملهم والموجه الى الخير والحق والمعرفة ، وما توفيقى الا بالله

مدلول الثقافة

لفظة الثقافة ترادف المعرفة والعلم ، وفى اللغة العـربية يقال ثقف الرجل الشيء اذا حذقه ، ورجل ثقف أى حاذق وثقف الرجل ثقافة أى صار حاذقا فطنا ، ورجل لقن ثقف أى ذو فطنة وذكاء ، والمراد ـ كما يقول لسان العرب ـ أنه ثابت المعرفة بما يحتـاج اليه ٠

ويتوسع علماء الاجتماع والانثروبولوجيا فى مدلول الثقافة ، حتى لتشمل عندهم أسلوب الحياة فى الأمة أو الجماعة كلهـا بجميع مظاهره ، فهى تشمل فهم جميع مظاهر الحضارة التى تساعد الانسان على الحياة ، وفهم النظم الاجتماعية التى يعيش فيهـا المثقف ، وتدخل فى ذلك اللغة باعتبارها الوسيلة للتفاهم والتعبير، كما تشمل فهم سيكلوجية الجماعة أى القوى النفسية التى تحرك سلوكها ، من دوافع ورغبات وأفكار ومعتقدات وقيم الى غير ذلك فالثقافة اذا على هذا الاعتبار يمكننا ان نتمثلها فى مجموع الأفكار والعقائد والمثل والقيم التى تسود الأمة . ويتجلى اثرها فى آدابها وفنونها وعاداتها ونظمها وقوانينها وأساليب معيشتها بوجه عام ٠

والثقافة على المعنى الأول تخص المثقفين وحدهم ، وتتسم بالاستعلاء والصعود نحو القمم ، وهى على المعنى الثانى تنزل الى مستوى الشعب والجماهير والأمة تدرس وتكتشف وتنقب ، وتنتخب جاهدة فى الأخذ بأيدى الناس نحو حياة أفضل ، وبيد الحضارة نحو ازدهار أوسع وقدرة أشمل لخدمة الجماهير وخدمة التطور ٠

وقد كانت الثقافة الاسلامية تتسم ، بالسمتين ، فهى متعالية مستعصية الا على رجالها والذين يبذلون من اجلها ، وهى كذلك لينة طيعة القياد تعمل من أجل الناس والمجتمع والشعوب ومن اجل خدمة التطور والحضارة والرقى بالمدنية الى الحد الذى يطمح اليه العالم

وقد امتازت الثقافة الاسلامية بيسرها وسهولتها وخفتها على أذهان الناس وقلوبهم ، وقبولهم لها بثقة واطمئنان ويسر كذلك ٠ وكانت هى العامل الفعال فى نهضة أوربا الحضارية والثقافية اذ لم تكن الثقافة الاغريقية معروفة فى اوروبا فى العصور الوسطى الا عن طريق الثقافة العربية الاسلامية ، التى تولت شرح الثقافة الأغريقية ونقدها وتطويرها والمحافظة على الكثير من أصول تراثها وقد أخذت الثقافة العربية الاسلامية من كل المواريث الثقافية ، ونهلت من كل منابع العلم والمعرفة ، وأخذت عن الثقافة الفارسية والمصرية القديمة والهندية ، وحافظت على الكثير من أصول هذه الثقافات بجانب ما ابتكرته من ثقافة اسلامية عربية أصيلة ، تشمل علوم الشريعة واللغة والعلوم العملية وكثيرا من المعارف النظرية ، وكانت هذه الثقافة شديدة الطموح قوية العزم ، فهى تهتم بالأصول الثقافية للأمة الاسلامية ، وهى تلقح هذه الأصول بما وجدته من قيم ثقافية أجنبية مادام ذلك فى مصلحة الثقافة وتطورها المنشود ، وعملها الدائب من أجل خدمة الحضارة والحياة والمعرفة نفسها

وبجانب ماكشف عنه جابر بن حيانمن علم الجبر ، والخوارزمى من علم اللوغارتم ، نجد الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشـــد يكشفون معالم الفلسفة الاغريقية ، ويبنون على أطلالهـــا فلسفة اسلامية ، ونجد الخليل بن أحمد البصرى (١٧٠ هـ) يكتشف أصول المعجم اللغوى وعلم أوزان الشعر وقوافيه ، وكذلك أهتدى سيبويه الى فلسفة اللغة العربية وأصولها فى الاعراب ، ونجد ابن ماجد العربى يضع أصول العلوم البحرية وقواعد الملاحة ، وهكذا تطورت الثقافة الاسلامية فى مدلولها فى مختلف العصور ، وانتقلت اليوم من مثالية الفكر الى واقعية الاتجاه ، وفى عيد العلم منذ عامين وقف الرئيس عبد الناصر ينادى بالتزام العلم والعلم الملتزم ، الذى يلتزم خدمة الحياة والجماهير والمثل العزيزة على المثقفين ،كالحرية والسلام والتقدم .

***

اقرأ باسم ربك

عندما نزل الوحى فى غار حراء — أول ما نزل — على محمد ابن عبد الله ، انطلق يردد وحى الله ، والكلمات الأولى التى نزلت من القرآن الكريم : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم** » والأمر بالقراءة انما هو أمر بالعلم ، الذى تعد القراءة من أهم أسبابه وما أروع الأسلام وهو يقرن المسببات بأسبابها ويعلم المسلمين أن يأتوا الأمور من أبوابها ، والقراءةوالعلم على من لايعرفهما عسيرة ولكنهما عندما يكونان باسم الله وعونه والهامه يصبحان أمرا سهلا يسيرا ، وتكرار الأمر هنا للاهتمام بالمأمور به ٠

وقد يكون الأمر الاول انما هو بالقراءة نفسها ، ولا يكونالأمى قارئا الا بقدرة الله . واذا كانت قدرته عزوجل قد خلقت الانسانمن علق ، ثم صورته فى أحسن صورة ، ووهبته الروح والحياة ، فانها هى التى تهبه كذلك معرفة القراءة والكتابة ٠ أما الأمر الثانى بالقراءة فهو أمر بالعلم ، والعلم على من يعرف القراءة والكتابة سهل ميسور ، وبخاصة اذا كان الرب الأكرم عونا للمتعلم وهاديا وملهما ، ولذلك قرن هذا الأمر بوصف الله بأنه اكرم الكرماء وبانه الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ٠

ولقد مدح الله القلم ، والعلم الذى يسطره العلماء به ، حين أقسم به تعالى فى قوله : « **ن والقلم وما يسطرون** »

ومدح العلماء فى قوله « **انما يخشى الله من عباده العلماء** »

وفى قوله : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » أى الذين جمعوا بين الايمان والعلم ·

وفى قوله تعالى « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط »

وقد ذكر القرآن العلم وكرمه ، كما ذكر العقل الذى هو من أهم مفاتيح العلم وشرفه ، فى عشرات الآيات والسور ·

ورفع رسولنا العظيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شأن العلم والعلماء ، وأعزهم وأعلى منزلتهم ، والآثار النبوية فى هذا الباب كثيرة ، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « يستغفر للعالم مافى السموات والأرض » ويقول : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » ، ويجعل طلب العلم فريضة وواجبا اسلاميا محتوما فيقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وفى رواية «ومسلمة » · وبعث رسول الله(ص) معاذا الى اليمن وقال له : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها »

وخلفاء رسول الله وأصحابه كانوا مثلا عاليا فى الاعتزاز بالعلم ، ورفع منازل العلماء ، وفى الحث على طلبه يقول على كرم الله وجهه : « من وهب حياته للعلم لا يموت أبدا » ، ويقول : « التبحر فى العلم أعلى مراتب الشرف » ·

نشأة الثقافة فى الاسلام

لاريب ان الثقافة فى مجتمع اسلامى ، يطبق مبادىء الاسلام، لابد أن تكون ثقافة اسلامية ، أساسها القرآن والحديث ، وكل العلوم والمعارف تدور حولها وتنبعث منها ٠

ولقد كانت تعاليم الاسلام ومبادئه ، وأصوله وشرائعه وما أمر به من طلب العلم وارشاد الناس ، نقطة الانطلاق الأولى ، التى امتدت ، وسار العلماء المسلمون فى مدارها ، مواكب مبدعة حرة كريمة على الله والناس ، فصنعوا بعد قليل نهضة ثقافية عالية الدرى ، لم تبلغها أمة من قبل ، وكان ذلك أثرا للاسلام وحضه على المعرفة ، ولتنافس الخلفاء والحكام فى العالم الاسلامى فى رعاية العلوم والمعارف ، ولتنافس العلماء كذلك فى خدمة المعرفة وللرحلات العلمية المستمرة بين عواصم الاسلام ، وللمناظرات الدينية والعلمية بين الفرق الدينية الكبرى ، التى قامت فى القرن الاول الهجرى ، ثم لقيام الحلقات العلمية وتعدد مواطن الثقافة فى البلاد الاسلامية ، وماتلا ذلك من انشاء المكتبات والمدارس والجامعات فى كل مكان ٠

ولقد وجد العقل الاسلامى ، فى فجر الاسلام ، زاده فى المعرفة وقيمه الحضارية فى الخير والشر والجمال والقبح ، والبداية والنهاية والحق والباطل ، فيما يحمل الكتاب الكريم من كنوز ، فعكف على تعرفها ودراستها وتفسيرها .

وقامت الحلقات العلمية فى الحواضر والمدن ، فى المساجد الكبرى وفى أماكن خاصة أخرى ، فى كل انحاء دولة الخلافة ، وتصدرتها طبقة بعد طبقة من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين، رضوان الله عليهم أجمعين ، ممن نجد ذكرهم ، وذكر مآثرهم العلمية الباقية ، فى مثل كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم .

ويعد فى الطبقة الأولى : عمر وعلى وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس (١-٧٠هـ) وزيد بن ثابت ، وفى الطبقة الثانية عشرون من أصحاب رسول الله (ص) ، وفى الثالثة نحو مائة وعشرين .

كان فى مكة أمثال : عكرمة وعطاء وابن أبى مليكة .. وفى المدينة : سالم ونافع ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير (٢٣-٩٤ هـ) والزهرى (٥١-٢٤ هـ) ، وسعيد بن المسيب تلميذ زيد بن ثابت ، ثم ظهر الامام مالك ، ولما خرج معاذ بن جبل الى الشام قال عمر : لقد اخل خروجه بالمدينة وأهليها فى الفقة ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبسه ، أى يمنعه من الخروج ، لحاجة الناس الية ، فأبى على .

وكان فى الشام : عبادة بن الصامت وأبو الدرداء ، وشهر بن حوشب ، ورجاء بن حيوة الكندى ، وهانىء بن كلثوم ، ومكحول ، وأبو ذر ، والأوزاعى .

وفى اليمن : وهب بن منبه (١١٠ هـ) ، وطاووس . وفى مصر : عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو تميم ، ويزيد بن عبد الله ، والصابحى . وفى الكوفة : النخعى والشعبى وشريح وسعيد بن

جبير ، وابن مسعود ، وكان قد بعثه عمر اليها ، وكتب الى أهـــل الكوفة يقول : انى بعثت اليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وآثرتكم به على نفسى ، فخذوا عنه ، وكان ابن مسعود لايكاديخالف عمر فى شيء من فقهه ٠٠ ثم ظهر بعد ذلك أبو حنيفة ٠٠ وكان فى البصرة : أبو موسى الأشعرى ، وأنس بن مالك (٩٢هـ) وقتادة وأبو سعيد الحسن البصرى (١١٠ هـ) وابن سيرين (١١٠هـ) ، واياس (١٢٢هـ) ومالك بن دينار وأيوب السختيانى ، ثم ظهـر فيها سعيد بن أبى عزوبة (١٥٦ هـ) وكان شيخ البصرة وعالمها وأول من دون العلم بها ٠ كما كان ابن جريج الرومى امامالحجاز أول من صنف الكتب به ٠ فأول كتاب ألف فى الاسلام هو كتاب ابن جريج فى الآثار ، ثم كتاب حروف التفسير رواية عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ، ثم كتاب معمر بن راشد باليمن جمع فيه سننا نبوية مأثورة ، ثم كتاب الموطأ لمالك الذى الفه فى المدينة ثم جامع سفيان الثورى ٠٠ وكان فى خراسان عطاء بن مسلم والضحاك بن مزاحم ٠

وكان الخلفاء يشيرون على أصحاب رسول الله بأن يذهبوا الى الأمصار لهداية الناس ، يقول عبد الله بن سالم : كنا مع ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت (٥٤ هـ) فقلت : مات عالم الناس اليوم ، فقال ابن عمر : يرحم الله زيدا فقد كان عالم الناس وحبرهم ، فرقهم عمر فى البلدان ٠

وكان ابن عباس يلقى محاضراته بانتظام فى الحرم المكى ، وكثيرا ماكانت تتحول حلقته الى حلقة ادبية ٠وفى عهد بلال ابن أبى بردة (١٢٦ هـ) فى البصرة كانت قواعد اللغة العربية تدرس فى مساجدها ، وكان السلامى (٧٤ هـ) يدرس قراءات القرآن فى مساجد الكوفة ، وكان ابن هشام المخزومى يلقى دروسه فىالجامع الكبير فى دمشق ٠

وكان من هؤلاء الأعلام جميعا العربى ، كما كان منهم المـوالى من ابناء البلاد المفتوحة ، الذين شبوا فى الاسلام ، وأصبحـوا به أئمة وهداة وعلماء . ومن جلة التابعين من الموالى : سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار فى المدينة ، وعطاء ومحمد بن مسلم فى مكة ، ومكحول فى الشام ، وهو أستاذ الأوزاعى ، ويزيد بن أبى حبيب فى مصر وهو استاذ الليث بن سعد ، وسعيد بن جبير فى الكوفة ، ومجاهد وعكرمة والحسن بن يسار والحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين فى البصرة . ومن البصرة خرج الخليل وهوعربى ومؤلف أول معجم للغة العربية ، وواضع علم أوزان الشعر وقوافيه، وسيبويه وهو فارسى ، ومؤلف الكتاب الذى كان أول دراسة علمية لقواعد النحو العربى .

* * *

نشوء الجامعات الاسلامية

كانت حلقات بيت الله الحرام فى مكة ، والمسجد النبوى فى المدينة أولى الحلقات العلمية الجامعية فى الاســلام ، وكان فى مسجد رسول الله مائة وعشرون من صحابته صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا الا ود أن أخاه كفاه ذلك .

وقد تبعتها حلقات شهيرة فى المسجد الأقصى فى فلسطين ، والمسجد الأموى فى دمشق ، وجامع عمرو بن العاص فى الفسطاط، والمسجد الجامع فى البصرة .

ثم تبعتها حلقات الجامع الأزهر فى القاهرة ، وجامع الزيتونة فى تونس ، وجامع القرويين فى فاس .

وقد تمتعت بعض هذه الحلقات بشهرة علمية عالية مما جعلها تتحول الى مراكز للبحث فى مختلف فروع الثقافة ، وكانت بذلــك الطابع أولى الجامعات فى العالم ، ووضعت أسس التعليم الجـامعى سباقة فى مضمار هذا العمل العظيم . واشتهرت مكة بعلو الكعب فى التفسير ، والمدينة بالحديث ، والكوفة بالشعر والقــراءات ، والبصرة بالنحو والمذاهب الدينية . وفى حلقـــة الامام الشافعى بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط أملى هذا الامام الجليل أماليه

الجديدة فى علم أصول الفقه ، فكان أول من دون علم الأصول ،وان كان الشيعة الامامية يذهبون الى أن أول من دونه الامام الباقر بن على زين العابدين ٠

ومن البدهى أن بعض هذه الحلقات قد توقف عن متـــابعة البحث العلمى ، وبعضها قد سار فى هذا الميدان شوطا طويلا ،ومن أشهرها الأزهر الشريف ٠

وقد شيد المسلمون الجامعات والمراكز الثقافية المتقدمة فى كل مكان ، فى الكوفة والبصرة وبغداد وفى مدن ايران وفى مصر ، وفى صقلية ابان الحكم الاسلامى فيها الذى امتد قرنين ونصفا من الزمان وفى قرطبة واشبيلية وغرناطة والقيروان ونالت هذه الجامعــات شهرة علمية وعالمية واسعة ٠

وكان فى عهد الحكم المستنصر الأموى فى القرن الرابع الهجرى أكثر من ثمانين مدرسة فى قرطبة وحدها ، ومنها مدرســة جامع قرطبة الكبير ، التى كان يلقى فيها القالى مجالسه اللغوية والأدبية٠

وقد انشئت أول أكاديمية اسلامية فى بغداد عام ثلاثةوثمانين وثلاثمائة من الهجرة (٩٩٣م) ثم انشئت أخرى فى نيسابور عام أربعمائة ٠ وكان جماعة « اخوان الصفا » يكونون اكاديميةفلسفية فى البصرة نحو منتصف القرن الرابع الهجرى ، وقد ألفوا احــدى وخمسين مقالة فى الفلسفة ليحببوها الى الناس ، وكانوا يذهبون الى أن الكمال الانسانى لا يتم الا بتآخى الدين والفلسفة ، وكان عددهم أربعين عضوا وهو عدد أعضاء الأكاديمية الفــرنسية ومختــلف الأكاديميات والمجامع الكبرى اليوم ، ومن زعمائهم زيد بن رفاعة ٠

الثقافة فى رعاية الدول الاسلامية

ولقد رعت الدول الاسلامية الثقافة والعلم حق رعايتها ، فكانت الرى وشيراز – بتشجيع البويهيين ووزرائهم كابن العميد والصاحب ابن عباد والمهلبى بن سعدان – من المراكز الثقافية الممتازة ، وكان ابن سعدان يميل الى الفلسفة، وابن العميد يميل الى العلم، والكثيرون جلسوا منه مجلس الطلاب من الأستاذ كما يقول صاحب اليتيمة . وكان المهلبى والصاحب يميلان الى الأدب وفى الصاحب يقول الثعالبى انه قد احتفت به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد . وظهر فى دولة البويهيين ابن مسكويه وابن فارس(٣٩٠ هـ) .. ونشأ ابن سينا (٤٢٨هـ) فى ظل السامانيين ورعايتهم فى بخارى ، واستظل البيرونى (٤٤٠ هـ) بعطف الغزنويين وحدبهم . وكان اشتغال علماء الجزيرة والشام بتدوين العلوم الأدبية والشرعية والتاريخ لا يقل عن اشتغال علماء المشرق ، يساندهم ملوكهم من أمراء بنى حمدان وبنى عقيل وبنى منقذ .

وكانت حلب فى عهد سيف الدولة درة متألقة فى عقد الثقافة ، ففيها الفارابى الفيلسوف ، وابن خالوية النحوى ، وفيها المتنبى وأبو فراس ، والعلماء فى كل فن ، ويقول الثعالبى : انه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك مااجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ

الشعر ونجوم الدهر ، وانه لم يجتمع فى قصر ملك من العلماء والأدباء والشعراء مثلما اجتمع فى قصر الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد .

وقد وصلت مصر فى مراتب الشرف ، الى ما وصلت اليه بغداد حتى ان الحاكم الفاطمى طلب من الحسن بن الهيثم العالم الرياضى المشهور أن يزوره فى القاهرة ، فلما قرب مقدمه خرج الحاكم لاستقباله على باب من أبواب القاهرة ، وفى عاصمة الفاطميين وضع الحسن بن الهيثم نظريته الجديدة فى انكسار الضوء وأراد ان يبنى سدا عاليا على النيل فلم يجد الامكانيات موفورة ، وبحوثه فى علم الضوء والبصريات موضع اعجاب الأوربيين حتى اليوم .

يقول برنال فى كتابه « تاريخ العلم » عنه وعن بعض العلماء المسلمين كمحمد بن موسى الخوارزمى الذى برع فى الرياضيات ووضع علم الجبر ، انهم أدوا للانسانية خدمات لا تقدر ، وتحتفل جمعية تاريخ العلوم فى القاهرة هذه الأيام بمرور ألف عام على ميلاد العالم الرياضى ابن الهيثم .

وكان الخليفة الكامل الأيوبى يرعى العلماء والأدباء ، فعاش فى عطفه البيطار العالم النباتى المشهور ، وشمل باجلاله واهتمامه ابن الفارض العالم الصوفى العظيم .

وناهيك ببغداد وفلاسفتها وعلمائها ومدارسها فى ظلال الخلافة العباسية .

ولقد تنافس المسلمون فى انشاء المدارس، رجالا ونساء، حاكمين ومحكومين ، فانشأت بنت نور الدولة المدرسة الزهراوية ، وأنشأت (ست الشام) مدرستين فى دمشق .

وحدث ولا حرج عن المغرب العربى فى عهد الأغالبة والصنهاجيين والحفصيين والموحــــدين والمرابطين ٠٠ وعن طرابلس والقيروان وتونس وفاس ومكناس والرباط وغيرها من المدن الاسلامية ٠

وكان الناصر وابنه الحكم فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى يرعون العلم والعلماء رعاية كاملة ، كان الحكم وهو ولى عهد رئيسا لمعاهد قرطبة وجامعاتها ومكتباتها وأنديتها العلمية والأدبية ، اى بمثابة وزير معارف فى حكومة والده الناصر الأموى ،وكانت له مكتبة خاصة تحتوى على أربعمائة ألف مجلد ، عدا مكتبات قرطبـة السبعين التى كانت تحفل بملايين المجلدات ، وكان يعقد الندوات العلمية والأدبية فى قصره ، ويجتمع بأفذاذ العلماء وينــــاظرهم ، وبعث الى أبى الفرج الأصفهانى بألف دينار من الذهب ليرســـل اليه نسخة من كتابه « الأغانى » قبل أن يخرج نســـخة منه الى بغداد ، وهو الذى استدعى أبا على القالى الى قرطبة واستقبله فى قصره استقبالا حافلا ، وطلب مرة من الفقيه أبى ابراهيم المــــالكى أن يزوره فى قصره على عجــل ، فأبى أبو ابراهيم الا بعد أن يتـــم درسه الذى كان يلقيه فى الحديث فى مسجد قريب من داره ، وقال: انى شيخ مسن فليفتح الخليفة لى باب قصره المطل على المســـجد لأدخل منه ، ففعل الحكم ذلك ، واستقبل الفقيه من هذا الباب ، وودعه منه ٠٠ وكان لا يفتح أبدا ٠

* * *

التجديد والابتكار عند العلماء المسلمين

بتأثير هذه العناية وتلك الرعاية نمت العلوم الاســـلامية ·· ونشأت علوم جديدة ، اشتقت من العلوم الشرعية، ومن بينها علوم الاخلاق والفلسفة ، وآداب الملوك ، وسياسة الملك ·· وقيـــــادة الحروب وتعبئة الجيوش ، واستعمال الأسلحة ، وتدبير المال ·· والتجارة والصناعة والزراعة ، وتدبير المنزل ·· والبحث عن معرفة أسباب العمران ·· واتسع مجال البحث فى الطب والهندسة والفلك والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وفن الحيل (أى الميكانيكا) والحساب والجبر وعلم النفس والمنطق والكلام وسائر العلوم الحكمية الدخيلة المترجمة ··

واتسعت مجالات الابتكار العلمى أمام العلماء المسلمين ، فقـــد وضع ابن سينا أصولا قوية لعلم الطبيعة والنبات والحيـــوان ·· وأتى فى الطب بتجارب قيمة ، وسبقه فى الاهتمام بالعلوم الطبيـــة ابو بكر الرازى ، الذى تناول كتب من سبقه من اليونان بالدراسة والنقد، وقد اعتمدت أوربا على دراسات هذين الطبيبين مدة طويلة·

وكان المسلون أسبق من نيوتن فى كشف قوانين الجاذبية · وكان الامام الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » أسبـــق من « ديكارت » بمئات السنين ، ولو كان قد ترجم هذا الكتاب فى زمن ديكارت لاتهم بأنه اقتبس كل آرائه منه ·

وقد فطن قدامة فى البصرة الى كروية الأرض وقصر النهار فى القطبين . وهدم عبد الحق بن سبعين المرسى (٦٦٩ هـ) المنطق الأرسطى وحاول وضع منطق جديد على أساس اشراقى .

وذهب ابن سينا فى كتاب « الشفاء » الى وجوب تدبير الفنيين فى الدولة ، وذهب ابن مسكويه الى أن الفضيلة الرئيسية هى الحب للجنس البشرى ..

وذهب ابن خلدون فى مقدمته المشهورة ، التى كانت أول كتاب فى علم الاجتماع الى أن الانتاج من عوامل تقدم الدولة وتحضرها. وقد تبحر ابن باجة الأندلسى (٥٨١ هـ) فى دراسة فلسفة أرسطو التى تتلخص فى : أزلية العالم ،وخلود النفس ووحدة العقل المفيض بالنسبة لجميع بنى الانسان ووجوب صدور المعلولات عن عالمها دون استثناء ، وجحود علم الآلة بالجزئيات وانكار اشتغال العناية الالهية بعالم ما بعد فلك القمر .

وألف ابن زهر الأندلسى (٥٩٥ هـ) كتاب « التيسير » وهو أول كتاب طبى يتناول فن المحافظة على صحة الجسم ، وقد ترجم الى اللاتينية عام ١٢٨١ م عن ترجمة عبرية .

وكان العلماء المسلمون يدعون الى الجمع بين التخصص العلمى والثقافة العامة ، وكان النظام والجاحظ يذهبون الى ذلك ويعتدون بموهبة العالم ، وأن الانسان بدونها لا يمكن أن يصير عالما . وكان الجاحظ يذهب الى تطور الأحياء حسب البيئة ، وتعاقب الأيام ..

واذا كانت أحدث نظريات الحياة اليوم انها « احتراق » ، فان الجاحظ قد سبق الى ذلك منذ أكثر من عشرة قرون ، يقول فى كتاب « الحيوان » : « انى وجدت الانسان يحيا ويعيش حيث تحيا النار وتعيش ، وتموت وتتلف حيث يموت الانسان ويتلف .. ويعمد أصحاب المعادن والحفائر اذا هجموا على فتق فى الأرض ، أو

مغارة فى أعماقها ، الى شمعة فى طرفها أو فى رأسها نار ، فان ثبتت النار وعاشت دخلوا » .

ويعتمد العلماء اليوم موضوع الخلايا وتنفسها ، وأن التنفس لا يقتصر على الرئتين بل هو ممتد فى جميع أعضاء الجسم .. والاحتراق يجرى فى الأنسجة وقد سبق الى ذلك الجاحظ ، فقال فى كتاب « الحيوان » ، « لولا أن تحت كل شعرة وزغبة مجرى نفس ، لكان المخنوق يموت مع أول حالات الخنق ، ولكن النفس كان لها اتصال بالنسيم من تلك المجارى » .

ويقرر العلماء اليوم أن الأنسجة تمتد فى النبات كما تمتد فى فى الحيوان ، وفى ذلك يقول الجاحظ فى كتاب « الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير » : « تأمل خلق الأوراق فانك ترى فى الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع » ..

ومما ذكره الجاحظ أن من طباع الشمس الايقاظ والبسط والنشر ، وأن النبات « الخيرى » تنضم أوراقه بالليل وتتفتح بالنهار ..

وقد ذهب الامام أبو حنيفة الى القول بالاستحسان ، أى ما يستحسنه العقل ، والامام مالك الى القول بالاستصلاح ، اى ما يتفق مع المصلحة العامة .

وذهب الفقهاء الى المصالح المرسلة .. وبمثل هذه المبادىء التشريعية العظيمة شق الفقهاء الطريق الى سعة التطبيق التشريعى واثبتوا ان الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان .

والطريف أن بعض الأوقاف الاسلامية فى فاس ، كانت مرصودة لعلاج الأمراض العقلية عن طريق الموسيقى ، فكانت الفرق الموسيقية تعزف ألحانها فى مستشفى سيدى فرج بحى العطارين فى فاس .

أسس الثقافة فى الاسلام

والآن نتساءل : ما هى أسس المعرفة فى الاسلام ؟

انه اذا كانت المادية الجدلية اليوم تحجر على العقل ، وتصر على أنه يجب الا يخرج عن نطاق العلم التجريبى ، وألا يخضع لما يسمونه أوهاما وغيبيات ، فان الاسلام قد أعز العقل وكرمه وشرفه ، وفتح له منافذ السموات والأرض ليبحث ويفكر ، والعقل الانسانى لم يتخل أبدا عن مساندته للايمان ٠٠ والاسلام يتخذ من تفكر العقل فى آثار القدرة المبثوثة فى السماء والأرض سبيلا الى اليقين والدين الحق ٠ يقول الله تعالى :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير » ٠٠

فكان العلم والهدى والكتاب المنير ، ثلاثتها هى الطريق الى المعرفة فى الاسلام ٠ ويفسر المفسرون العلم بالعلم الضرورى ، علم الفطرة والطبع والغريزة ٠٠ ويفسرون الهدى بالاستدلال والنظر الذى يهدى الى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحى ٠٠ وان كنا لا نرى مانعا من ان نذهب الى عكس ذلك ، فنفسر العلم بما يشمل الحقائق التى تستقر فى النفس ويرشد اليها التفكير والبحث

والدليل والتجربة ، والهدى بالالهام النفسى الذى تمده فطرة الله فى النفس الانسانية ، والكتاب المنير بالوحى المنزل من السماء وهو القرآن والكتب السماوية المقدسة ٠

فأصول المعرفة فى الاسلام ثلاثة : العلم الفطرى المركوز فى طبائع الناس كافة ، والذى يرشد الى التوحيد والايمان والخير والفضائل الانسانية ، والعلم النظرى المستفاد من الحجة والبرهان والبحث والتجربة ، والوحى الالهى الداعى الى الايمان والدين والمثل والقيم الحضارية ٠

وكان المعتزلة فى البصرة وبغداد فى القرن الثالث الهجرى يعتمدون على العقل وعلى التجربة ، ويبنون على ضوئها أحكامهم ، وينادون بوجوب تحرر العالم من المألوف ، ومن المعرفة الأولى ، أثناء بحثه ومحاولته الوصول الى الحقيقة ، ويفتحون باب التجديد واسعا على مصراعيه ، ويقول علم من أعلامهم وهو الجاحظ : « اذا سمعت الرجل يقول : « ما ترك الأول للاخر شيئا فاعلم أنه ما يريد أن يفلح » ٠٠

وكانوا ينادون بترك الاعتماد على الحواس وحدها دون الافادة من حكم العقل ، فيقول جاحظهم : « لعمرى ان العيون لتخطىء ، فلا تذهب الى ما تريك العين ، واذهب الى ما يريك العقل » ٠

وقد اعتمدوا الحياد العلمى والشك فى الموضوع ، حتى تثبت صحته ، وآمنوا بالتجربة التى تبدأ بالملاحظة ، ثم الاستقراء ، ثم الموازنة والترتيب ثم الاستنباط القائم على المقدمات للوصول الى النتيجة ٠٠ وهذا هو المنهج العلمى الذى ادعى « بيكون » أنه من ابتكاره ، وكان فيه تلميذا لعلماء المسلمين ، وبخاصة النظام والجاحظ ٠ يقول أبو عثمان الجاحظ : « الشاك » أقرب اليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك » ٠

وقرر الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » : انه لم يقتنـــع بالتقليد ، واتجه الى العلم بحقائق الأمور ، وبنائه على اليقين ٠٠ ولذلك بدأ بالشك فى كل شىء حتى يقوم البرهان على صحته ، وقال: كل ما أعلمه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقـة به ، ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فهو ليس بعلم يقينى ٠٠ ولم يذهب « ديكارت » فى مذهبه الشـك المنهجى الى غير ذلك ، وكان يقول : أنا أفكر فأنا اذن موجود ٠

زعماء العالم الاسلامى فى خدمة الثقافة :

على هذا النمط العظيم من حب المعرفة والكتاب ، كان المسلمون وكان خلفاؤهم وملوكهم وأمراؤهم وولاتهم ، يتنافسون فى رعـــاية العلم وحملته وطلبته ويرصدون الأموال والأوقاف والجوائز والهبات الطائلة على هذا الوجه ، لا يضنون بشىء فى هذه السبيل، ولا يبخلون بالكثير ولا بالقليل فى مجال هذا الشرف العظيم ٠٠ ألف الجاحـظ كتاب « الحيوان » وأهدى نسخة منه الى ابن الزيات الوزير فأهدى اليه خمسة آلاف دينار ٠٠ وألف « البيـان والتبيين » وأهـــدى نسخة منه الى ابن أبى دؤاد فأهـــدى اليه كذلك خمســـة آلاف دينار ٠ وكان الملك المعظم الأيوبى يجعل لكل من حفظ كتاب المفصل للزمخشرى جائزة قدرها مائة دينار وخلعة ملكية ٠٠

وماضى الاسلام فى اجلال العلماء معروف ، يقول الشعبى : صلى زيد بن ثابت على جنازة ، فقربت اليه بغلته ليركبها ، فجـــاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال زيد : خل عنه يا بن عم رسول الله ، فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء ، فقبـــل زيد بن ثابت يده ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ ٠

الشباب الاسلامى ونضاله من أجل المعرفة :

لقد كان ذلك باعثا للعلماء والطلاب على النهم العلمى والاقبال على التحصيل ، مع الفقر الشديد حينا ، ومع العوائق الجمة حينا آخر ، ويؤثر أن أبا يوسف كان يلازم مجلس أستاذه أبى حنيفة ، ويترك العمل فى سبيل العيش ٠٠ فجاءت الأم الى مجلس الأستاذ تلومه وتضرب تلميذه ، فقال لها : دعيه فلو رأيته يأكل الفالوذج (الحلوى) فى قصور الخلفاء ، وتحقق ما تنبأ به الأستاذ العظيم لتلميذه الموهوب ٠

وكان الجاحظ ، وهو شاب صغير يتيم ، منصرفا الى العلم والقراءة انصرافا تاما ، وفى يوم طلب الطعام من أمه المسكينة الفقيرة ، فجاءته بطبق عليه كراريس ، فقال : ما هذا ، قالت : هذا الذى تجىء به ٠٠ فخرج من منزله باكيا ، وجلس فى مسجد البصرة الجامع ، فشاهده يونس بن عمران فسأله : ما شأنك ؟ فحدثه الحديث ، فأخذه معه الى منزله وقرب اليه الطعام واعطاه خمسين دينارا ، فدخل السوق واشترى الدقيق وغيره ، وحمله الحمالون الى داره فعجبت الأم لذلك وبادرته : من أين لك هذا ؟ قال : من الكراريس التى قدمتها الى ٠

الرحلات العلمية :

ولقد كانت الرحلات العلمية مستمرة بين مختلف مدن العالم الاسلامى ، للقاء العلماء ، أو لتحقيق مسألة علمية، أو لضبط رواية من روايات العلم ، أو لالقاء المحاضرات وللمناظرات فى أى مكان من بلاد المسلمين ٠٠

وكان الطريق بين بخارى وبغداد ، وبين بغداد وقرطبة يحفل بالراحلين من العلماء والأدباء والطلاب • ورحلة القالى الى الأندلس عام ثمانية وعشرين وثلثمائة ، وحفاوة ولى العهد الحكم بن الناصر به معروفة ، والرحلة فى طلب العلم كانت ديدن العلمـــاء والمتعلمين لما فيها من الثواب العظيـــم • يقـــول السهروردى فى « عوارف المعارف » : كان أبو الدرداء يجلس فى مســـجد دمشق ، فأتاه رجل ، فقـــال : يا أبا الدرداء انى أتيتك من المدينة ـ مدينـــة الرسول ـ لأسمع منك حديثا سمعته من رسول الله ـ صـلى الله عليه وسلم ـ فقال : فما جاءت بك تجـارة ؟ قال : لا ، قال : ولا جاء بك غيـــره ؟ قال : لا ، قال أبو الدرداء : سمعت رســـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتهـا لطالب العلم ، وان طالب العلم يستغفر له من فى الســـماء والأرض ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ، وان العلماء هم ورثة الأنبياء •

المكتبات العامة :

ولقد أنشأ المسلمون المكتبات العامة فى كل مكان ، والحقـــوا بعضها بالمساجد والمدارس والزوايا والأربطة والمستشفيات ، عـدا المكتبات الخاصة التى كانت تحفل بها الدور والقصور • وناهيـك بمكتبات بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة وغيرها من مدن الاسلام وحواضره ••

وكان الكتاب أنفس شىء عند المسلمين ، وأعز ما يهـــدونه الى أحبابهم •• دخل الجاحظ على الوزير ابن الزيات فى داره فى بغداد يعوده فى مرض ألم به ، فسلم عليه وقال له : فكرت فى شىء أهديه

اليك فلم أر أشرف ولا أطرف من كتاب سيبويه بخط الكسائى وعرض الفراء (٢٠٧ هـ) وقد اشتريته من ميراث الفراء ، فقال ابن الزيات : والله ما أهديت الى شيئا أحب منه ٠

وكان أمير البصرة اسحاق بن سليمان — وكان الجاحظ يزوره فى دار الامارة ، وهو يحوطه الجلال والمجد — فلما عزل ذهب اليه يزوره فى داره ، قال الجاحظ : فدخلت عليه فى بيت كتبه وحواليه الدفاتر والقماطر ، والمساطر والمحابر والاسفاط والرقوق ، فما رأيته قط أفخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه فى ذلك اليوم لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الحلاوة، ومع السؤودد الحكمة ٠٠ ولقد كانت خزائن كتب كبار العلماء وكذلك الملوك والأمراء والوزراء تحوى مئات الألوف من المجلدات ، وكانت مكتبة الصاحب ابن عباد تحمل على أربعمائة بعير ٠

وقد اشترى محمد بك أبو الذهب ، أحد حكام مصر فى عصر العثمانيين ، نسخة خطية من كتاب « تاج العروس » من مؤلفه محمد مرتضى الحسينى الزبيدى بمائة ألف درهم ووضعها فى مكتبة مسجده المسمى باسمه المواجه للجامع الأزهر ٠

وبيت الحكمة :

وقد أنشأ الرشيد فى بغداد « بيت الحكمة » ونقل اليه الكتب التى عثر عليها فى غزواته فى بلاد الروم ، وعهد الى يوحنا بن ماسويه أمر الاشراف على ترجمتها ، وأسند المأمون بن الرشيد الى سهل بن هارون رياسة هذه الدار ، وأوفد بعثة علمية الى امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ، فيها مهرة المترجمين ، وطلب منه أن يقدم لهم الكتب الاغريقية القديمة ليترجموها الى العربية

أثناء اقامتهم فى عاصمة ملكه · وذلك شبيه بما صنعه جده المنصور العباسى الذى بعث الى قيصر الروم كذلك يسأله أن يصله بما لديه من كتب الفلاسفة الحكماء ، ولما وصلت هذه الكتب بغداد اختار المنصور لها المترجمين ، وكلفهم احكام ترجمتها ·

وقد امتلأ بيت الحكمة بالكتب الاغريقية المهداة الى الخلفاء من ملك جزيرة قبرص وملك الروم ·

وأول كتاب ترجم الى العربية كتاب بطليموس فى الفلك ، وقد وضع يحيى بن أبى منصور المأمونى جداول فلكية وألف كتابا سماه « الآمال » وقام بمشاهدات فلكية فوق جبل قرب بغداد وفوق جبل فيصوم قرب دمشق ، وذلك فى عام خمسة عشر ومائتين من الهجرة ·

وشيد الحاكم الفاطمى فى القاهرة عام أربعة وتسعين وثلاثمائة (١٠٠٤) دار الحكمة وافتن فى تشييدها ، وفى الكتب التى احتوت عليها والحق بها مجلسا للمناظرة ، وكانت تختلف عن أية مدرسة فى الأمصار الاسلامية وشيد الأغالبة كذلك فى القيروان بيت الحكمة للعلوم الفلسفية والرياضية ولترجمتها ·

وهذا الاهتمام بالعلم وبالكتاب وبالمكتبات يفند لنا أكذوبة حرق عمرو بن العاص لمكتبة الاسكندرية ، وقد كفانا المستشرقون أنفسهم مؤونة ذلك ، فأثبت المنصفون منهم أنها كانت قد أحرقت قبل الفتح الاسلامى بكثير ، فى الخلاف بين أنطونيوس واكتافيوس ·

الثقافة الاسلامية توقظ أوربا من الظلام

من البدهى أن أوربا فى العصور الوسـطى كانت تعيش فى الظلام ، وأنها لم تر النور والحياة الا بعد أن شاهدت أضواء العلم فى بلاد الاسلام ، وأقبلت على معارف العرب وعلومهم ، واستضاف بعض ملوكهم العلماء المسلمين فى ديارهم واخذت أوربا تترجم الثقافة العربية الاسلامية الى اللغة اللاتينية ثم الى مختلف اللغات الأوربية . وعن طريق هذه الترجمات وطريق العلماء المسلمين الذين عاشوا فى مدن أوربا ، وطريق الأوربيين المثقفين بالعلوم العربية ، انتشرت الثقافة الاسلامية فى بلادهم ، بل أصبح لها تأثيرها الضخم فى الفكر الأوربى . وبعد أن اتبع التعليم فى أوربا مناهج الجامعات العربية ، وانتشرت العـلوم الاسلامية فيهـا ، وأثرت فى أفكار العديدين من عقلائها ، بدأت النهضة الأوربية .

كان طلاب العلم يفدون الى الأندلس وصقلية من كل انحـاء أوربا ليدرسوا على الأساتذة المسلمين ، وكان منهم مثلا «جربرت» الذى تولى البابوية فى روما فى آخر القرن العاشر الميلادى (٩٩٩م = ٣٨٩ هـ) ، وكان قد تلقى تعليمه فى الأندلس ، واتهم بالالحـاد عندما أراد أن ينشر فى أوربا ما أخذه عن العرب .

ونجد مثلا القس المسيحى نيكلدس يقوم فى أواخر القرن الثالث عشر برحلة الى البلاد الاسلامية ، حيث يمضى فيها سبع سنوات ، ويدرس القرآن الكريم ويعود الى اوربا ليطلب من اخـــوانه فى المسيحية أن يتخذوا من أصول الاسلام وصفات المسلمين مثلا أعلى لهم ، وأبدى لهم اعجابه الشديد بالدراسات الاسلامية فى مدارس بغداد ، ووصف نظام التعليم فيها وصفا دقيقا ٠

ونجد أمثلة لعكس ذلك ، فالشريف الادريسى العالم الجغرافى المشهور يقيم فى صقلية وروما عند ملوك النورمانديين بعد سقوط صقلية فى أيديهم ، وألف هناك كتابه المشهور « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، ووضع أول خريطة جغرافية للعالم طبعها المجمع العلمى فى بغداد منذ نحو عشرة أعوام ، وصنع كرة من الفضــة تمثل الأرض ونقش عليهــا أسماء كل البلاد المعــروفة بالحروف العربية ٠

ولا تنس السفراء المسلمين لدى ملوك أوربا ، وكانوا يختارون من كبار العلماء والساسة ، وكانوا يستثيرون الاعجاب والتقـدير فى كل مكان ٠

وأمامنا كذلك الطبيب العربى الوزان الفاسى عنــدما أسره القراصنة وذهبوا به الى روما ، فقربه اليه البابا ليون العـاشر ، وكان يهتم بالعلوم الاسلامية ، وأذاع على شعبه أن أسيره دخل فى المسيحية وسماه « ليون الافريقى » ، وصار الوزان أستاذا فى كليـة بولونيا بايطاليا ، واهتم بالدراسات الطبية ، وكان له فضل عـلى التقدم الطبى فى أوربا ، فقد ألف قاموسا طبيا حاول فيه ترجمـة المصطلحات الطبية العربية الى اللغتين اللاتينية والعبرية ٠

ثم نجد اختلاط المسيحيين بالمســلمين فى حروب الاندلس والحروب الصليبية عاملا مهمـا فى لفت أنظارهم الى الثقــافة والحضارة الاسلامية ٠٠

وقد أقبلوا على ترجمة العـــلوم العربية والكتب الاســـــلامية الشهيرة الى اللاتينية اقبالا شديدا ، وفى عام ١١٣٠ م أنشـــأ أحد القساوسة فى طليطلة معهــــدا لترجمة الثقافة الاسلامية الى اللاتينية ، وبخاصة فى الفلسفة والطب والفلك والرياضة ٠ وعن هذا الطريق ترجمت فلسفة الاغريق والرومان من المصادر الاسلامية الى اللاتينية لضياع أصولها القديمة ، وكثير من المؤلفات العلمية العربية التى ترجمت الى اللاتينية فقد اصلها العربى ٠

وبعد أن توفرت هذه الترجمات أصبحت كتب الطب العربى وبخاصة مؤلفات ابن سينا ، وكذلك كتب الفلسفة الاســــلامية ، وبخاصة مؤلفات ابن رشد ، تدرس كلها فى جامعــات أوربا ، ففى جامعة مونبلييه جنوب فرنسا كانت تدرس كتب ابن سينا الطبية الى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، وفى كلية الفنون بجامعـــة باريس درست كتب ابن رشـــد منــــذ عـام ١٢٥٥ م ٠ وكانت فلسفة ارسطو تدرس من خلال الفلسفة الرشدية ، الى أن صـــعد بعد أكثر من قرنين ونصف من الزمان نيقــولا توماس على كرسى جامعة باريس فى الرابع من ابريل عام ١٤٩٧ م ليدرس أرسطو لأول مرة باللغة الاغريقية ٠

* * *

العلم أمانة ومسئولية

لقد حمل العلماء المسلمون طول عصور التاريخ الأمانة العلمية بكل شرف وجدارة ، فكانوا يشعرون شعورا تاما بالمسئولية كاملة فلا يجيبون عن شيء بما لا يعلمون ، وكان ابراهيم التيمى اذا سئل عن مسألة يبكى ويقول : لم تجدوا غيرى ، حتى احتجتم الى ؟ ، وقال الشافعى : شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لا أدرى .

وكان حرصهم على افادة الناس شديدا ، خروجا من تبعة كتمان العلم ، حتى كان الامام النحوى ابن مالك يخرج ويقف على باب مدرسته ويصيح : هل من راغب فى علم الحديث أو التفسير لأخلص أمام الله ذمتى ، فان لم يجد راغبا أو طالبا قال : خرجت من آفة الكتمان .. اذ كان المسلمون يعتقدون أن لله حقا فيما استودع العلماء من العلم والفهم ، وأنه أخذ عليهم البيان .

وكان طموحهم الثقافى لا ينتهى الى حد ، وبلغ من محبتهم للعلم وكتبه أن كانوا يحفظون الكثير من الكتب ودواوين الشعر عن ظهر قلب ، كان أبو جعفر الحميرى (٥١٤ — ٦١٠) وهو آخر من انتهى اليه علم الآداب فى الأندلس ، يحفظ ديوان المتنبى ، وكان الناس يعجبون منه لذلك ، فكان يقول لهم : بعيد أن تفلحوا ، يعجب أحدكم من حفظ ديوان المتنبى وقد أدركت أقواما لا يعدون

من حفظ ديوان سيبويه حافظا ، ولا يرونه مجتهدا · وكذلك كان أديب الأندلس ابن عبدون أيسر محفوظاته كتاب الأغانى ·

وكان اخلاصهم للعلم شديدا ، مع التواضع الجم ، والبعد عن الغرور ، وكان ابن المبارك يقول : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل ·

وقد استهانوا بكل مشـــقات البحث العلمى ، فقـــد كانوا مدفوعين الى ميدانه بعزم صادق، وجلد قوى ، يؤمنون بأن مجالس العلم عبادة ، ومن ثم لم يكونوا يتصدرونها ، ولا يكتبون أو يؤلفون الا متوضئين ، وكان الامام مالك اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على فراشه على وقار وهيبة ثم حدث · وكان شـــعار العالم تقــوى الله ومخافته ، والعلم عندهم مقرون بالعمل ، وبهذا تتحقق الحكمة وهى أرفع منازل العلم ، وفى الحديث : ان الحكمة تزيد الشريف شرفا ، وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك، وكان هدف الطالب والأستاذ معا خير الاسلام والمسلمين ·

ويؤثر عن الامام محمد بن على الســـنوسى أنه كان يتلقى العلم عن شيوخه ، وحدث ذات مرة أن رآه بعض الشيوخ جالســا فوق كثيب من الرمال ، تبدو عليه دلائل الحزن والتفكير ، فســـأله : ما بك يا بنى ؟ قال له : انما أفكر فى حال العالم الاسلامى ، فانه لا يزال مفتقرا الى مرشد حقيقى ·

هذا الى ما امتاز به العلماء المسلمون من وجدان علمى أساسه الادراك والمعرفة والخبرة والذوق ، وما شهدوا به من ابداع علمى فى كل فروع الثقافة والحياة ··

الطابع الانسانى للثقافة الاسلامية

تمتاز الثقافة الاسلامية على وجه الخصوص بطابعها الانسانى ومن مثل هذا الطابع المتميز فيها ما يلى :

أولا ـ المجانية الكاملة فى جميع مراحل التعليـــم وكفالة حياة الأستاذ والطالب كفالة تامة ، لما فى ذلك من الثواب العظيم والجزاء الكريم عند الله ، ولحتمية الثقافة وفرضيتها ، وأنها فى الاســـلام حق لكل انسان ، وواجب على كل عالم وقادر ٠

وثانيا ـ المساواة الكاملة فى حلقات الدراسة بين الناس جميعا لا فرق بين الصغير والكبير ، والغنى والفقير ، ولا بين الأجنـاس أو الألوان ٠

وثالثا ـ المشاركة العلمية الكاملة والانسانية بين الأســـتاذ والطالب ، والأستاذ يضع نفسه من تلميذه موضع الأب الشـفوق الرحيم ٠٠

ورابعا ـ الحـــرية الكاملة للطالب فلا يقيده الا وجـــدانه واحساسه العظيم بمسئوليته أمام أســـتاذه ، والحرية الـكاملة للاستاذ كذلك ، فهو الذى يمنح الاجازات العلمية لتـلامذته تحت مسئوليته ، وهو الذى يوجه المنهج والمحاضرات كما يشاء ٠

وخامسا — الضمير العلمى اليقظ عند العلماء المسلمين ، فقد كانوا لا يعملون عملا الا اذا كان من ورائه توجيه نافع أو خير مؤكد للناس عامة .

يقول الامام الغزالى : « ان من الأسباب فى صيرورة العلم مذموما أن يكون مؤديا الى ضرر ما ، اما لصاحبه أو لغيره » .

وكان أبو يوسف يفتى لاسقاط الزكاة أن يهب الرجل ماله لزوجته آخر الحول ، ويستوهب مالها ، ويعلق على ذلك الغزالى بأن هذا مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ، وأن مثل هذا هو العلم الضار .

ومن ثم لم ينشىء المسلمون مدارس لتخريج فرق للتدمير أو للمخابرات كما تصنع اليوم الدول المتمدينة ، ولم يقصدوا الى اختراع مدمرات أو متفجرت أو غيرها ، ولم يكن هدفهم من الثقافة سياسيا ، كما تفعل الدول المتحضرة اليوم ، التى تريد عن طريق الثقافة كسب معارك النفوذ ، وتعد الغزو الثقافى مقدمة للغزو العسكرى والسياسى . كانت وجهة العلماء الاخلاص للعلم ، وقصد وجه الله تعالى به ، ونشر الهدى والنور والمعرفة بين الناس جميعا ، يقول الغزالى : ان جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة .

وكانوا يجعلون العلم فى حد ذاته هدفا لهم وغاية ، لا يقصدون من ورائه جاها أو سلطانا أو رياسة أو التقرب الى سلطان ، حتى قال الامام الغزالى : العلماء يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة . ويقول بشر بن الحارث : من طلب الرياسة بالعلم فانه ممقوت فى السماء والأرض . ولقد بذل مجاهد العامرى ملك دانية لأبى غالب اللغوى ألف دينار على أن يضع اسمه فى صدر كتاب ألفه ، فأبى ذلك

أبو غالب وقال : كتاب ألفناه لينتفع به الناس ، وأخلد فيه همتى أجعل فى صدره اسم غيرى ٠٠ فلما بلغ هذا مجاهدا استحسن أنفته وضاعف له العطاء ٠

ويؤثر أن الملك الكامل الأيوبى ذكر له ابن الفارض ، فسأل عنه فقال له القاضى شرف الدين : كان مجاورا بالحجاز وفى هذا الزمان حضر الىالقاهرة وهو مقيم بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر ، فقـــال الكامل : يا شرف الدين خذ منا ألف دينار وتوجه اليه وقل عنا : ولدك محمد يسلم عليك ، ويسألك أن تقبل هذه منه برسم الفقراء الواردين عليك ، فاذا قبلها اسأله الحضور لدينا لنأخذ حظنا من بركته ، فقال القاضى : مولانا السـلطان يعفينى من ذلك ، فانه لا يأخذ الذهب ولا يجىء ، فقال : لا بد من ذلك ٠٠ فأخذ الذهب، وقصد الى الشيخ فبادره بقوله : ياشرف الدين ٠٠ مالك ولذكرى فى مجلس السلطان ، رد الذهب اليه ولا ترجع تجيئنى الى سـنة فرجع وقال للسلطان : وددت أن أفارق الدنيا ولا أفارق الشـيخ سنة ، فقال الكامل : لا بد من زيارة الشيخ ورؤيته، فنزل السلطان فى الليل الى المدينة مستخفيا ، ومعه جماعة من الأمراء الخـواص عنده ، وذهب اليه ، فلما أحس بهم الشيخ خرج من البـاب الآخر الذى بظاهر الجامع وسافر الى ثغر الاسكندرية ٠

* * *

جامعــات مشهورة فى بلاد الاسلام

وقبل نهاية هذا الحديث أذكر لكم ثلاث جامعات اسلامية كبرى على سبيل المثال ، جامعة استمرت فى أداء رسالتها الدينيــة حتى اليوم ، واثنتين توقفتا بفعل الأحداث والمحن التى ابتلى بها العــالم الاسلامى طوال عصور التاريخ ·

الأزهـــر :

أما الاولى ـ فهى جامعة الأزهر الشريف ، التى احتفـــل المعز لدين الله الفاطمى بافتتاحها فى القاهرة المعزية فى ســبع خلون من رمضان عام واحد وستين وثلاثمائة هـ (٢٢ من يونيو ٩٧٢ م) ، لتكون صرحا اسلاميا باقيا على الزمن ، ولقد حرص وزير المعـــز، يعقوب بن كلس، على أن يقيم حلقة علمية فى الأزهـــر ، حيث كان يملى على الناس فيه فى مجلس خاص مصنفاته فى الفقه الفـــاطمى ، كما كان يجتمع فيه يوم الثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين وأهـــل الجدل ، ولما تولى العزيز الفاطمى الخلافة بعد أبيه حرص على تكليف كبار العلماء باقامة حلقات علمية فى أروقة الأزهر ، وكان يمنحهــم مرتبات شهرية ، وكان عددهم فى أول الأمر سبعة وثلاثين عالما ، وكانت دروسهم فى كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر ، وفى عام ثمانين وثلاثمائة (٩٩٠ م) عين عدد كبير من العلماء لتـــدريس

العلم وقراءته بالأزهر الشريف طيلة أيام الاسبوع · ومن هـــذا التاريخ يبدأ الازهر حياته العلمية الصحيحة ، وكان فى مقـــدمة الأساتذة المدرسين فيه بنو النعمان قضاة مصر ·· وظلت الحركة العلمية والدينية فيه قوية مزدهرة فى عصر الفاطميين ·

وأول شيخ تولى مشيخة الأزهر الشريف هو الشـيخ الخرشى المالكى (١١٠١ هـ) ، والشيخ الحالى هو الشيخ الثالث والأربعون وهو الشيخ حسن مأمون ·

وأساتذة الأزهر من جميع أنحاء بلاد المسلمين هم الذين تولوا التوجيه الدينى فى العالم الاسلامى طول عصور التاريخ ، وتخـــرج منه طيلة ألف عام أو يزيد أفواج الطلاب ، من كل مكان فى العالم ، ممن تولوا الزعامة الدينية والفكرية والوطنية فى بلادهم · وكانت حلقات الأزهر تحمل عن المسلمين رسالة الاسلام الروحية والثقافية

وتؤديها ناصعة بيضاء كخيوط الفجر ، مشرقة هادية كشـــعاع الشمس ·· ومن هذه الحلقات تخرج زعماء الاسلام وقادته وأبطال النضال الوطنى الذين صمدوا للاستعمار الأوربى قرونا طوالا ·

المدرسة النظامية :

وأما الجامعة الثانية : فهى المدرسة النظامية الشـهيرة ، التى انشأها الوزير نظام الملك وافتتحها عام تسعة وخمسين وأربعمائة من الهجرة (١٠٦٧م) ، وكان من أساتذتها : امام الحرمين الجوينى، والامام الغزالى ، والمؤرخ بهـاء الدين · ودرس بهـــا أعلام العلماء المسلمين من كل مكان · وقد زارهـــا الرحالة ابن جبير الأندلسى عام واحد وثمانين وخمسمائة ، وذكر أنها أعظم مدرسة من ثلاثين مدرسة تقع فى شرق بغداد · ورأى أصحاب الأوقـاف قادمين من

بلادهم يحملون الايرادات الموقوفة عليهـا ، لتدفع منها أجـور المدرسين ، واعانات الطلاب ، ولينفق منها على المحافظة على المبانى، ثم زارها الرحالة المغربى ابن بطوطة عام سبعة وعشرين وسبعماية ووجدها فى حالة طيبة ٠

وتحدث عنها المؤرخ الفارسى حمد الله ، الذى زارها عام تسـعة وثلاثين وسبعمائة ، وسماها أم مدارس بغداد ٠٠ ولا أثر لهـذه الجامعة اليوم ٠٠ ومن الجدير بالذكر أن الوزير نظام الملك أبا على الحسن بن على الطوسى أنشأ مدارس أخرى على نمـط النظامية ، بالرى ونيسابور وهراة وبخارى ٠٠ وقد حاول هـذا الوزير أن يسمح له الفاطميون بنقل رفات الامام الشافعى لدفنها فى النظامية فرفض ذلك أهل القاهرة ، كما يحكى لنا المؤرخ المقريزى ٠٠

المستنصرية :

والجامعة الثالثة ـ هى المستنصرية فى بغداد أيضا ، أنشأهـا الخليفة العباسى المستنصر بالله عام واحد وثلاثين وستمائة ، قبل غزو التتار لعاصمة الاسلام بربع قرن ، وأراد أن تبذ النظاميـة فى هندستها ومبانيها ، فكانت من الروعة والعظمة بمكان كبير ، ممـا جعلها لا نظير لها أبهة وجمالا وجلالا ٠ وكانت تحتوى على أربعـة معيدين وعدد من المدرسين ويتولى أمر تعليم خمسة وسبعين طالبا ويتلقى العلماء والمدرسون والمعيدون فيها رواتب شهرية ، ويمنـح طلبتها ثلاثمائة دينار ذهبى كل شهر ، ويقدم لهم الطعام والشراب والكساء ٠ وكانت تحتوى على مكتبة ضخمة ، وقد نجت المستنصرية من تدمير التتار ، وأشاد كل من ابن بطوطة وحمد الله بعظمتها ، وكانت أوقافها تقدر بنحو مليون دينار ، وتغل نحو نيف وسبعين ألف دينار من الذهب سنويا ٠ وعلى مرور الأيام أصبح بها نحـو خمسمائة عالم ٠٠ وهى اليوم أطلال دارسة ٠

الاستعمار يدمر أصول الثقافة الاسلامية

عصفت الأحداث السياسية الكبرى فى العالم الاسلامى بكثير من أصول ثقافتنا ، ومن مثل هذه الأحداث : الحروب الكبرى التى دارت بين المسلمين والدول الاسلامية ، وحريق الفسطاط فى آخر العصر الفاطمى الذى دمر المكتبات والمدارس والجامعات فيها ، وجاء الأيوبيون فبددوا تراث الفاطميين تبديدا ، وبيعت الكتب لأصحاب المواقد ليشعلوا بها نيران مواقدهم٠٠ وكان تدمير بغداد ودمشق على أيدى التتار مروعا ورهيبا ، بما فيهما من مكتبات وذخائر وكنوز علمية وفنية لا تقدر بثمن ٠

والى جانب ذلك كان التدمير البربرى الأوربى لأصول الثقافة الاسلامية شاملا ، ومن وسائل هذا التدمير احراق المدارس والجامعات والمكتبات فى صقلية بعد استيلاء النورمانديين عليها من أيدى المسلمين، وفى الشرق الاسلامى خلال الحروب بين الحمدانيين والامبراطورية الرومانية الشرقية ، وخلال الحروب الصليبية أيضا ، حتى لقد أحرق الصليبيون فى طرابلس الشام وحدها دار كتب كان فيها مايزيد على ثلاثة آلاف ألف مجلد ، عدا ما دمروا فى بيت

المقدس كذلك . وفى الأندلس بعد سقوطها فى أيدى الاسبان فى آخر القرن التاسع الهجرى أحرقوا فى غرناطة وحدها ثمانين ألف كتاب وبلغ ما أحرقوه بعد ذلك ألفى ألف مجلد ، ثم ظفروا بثلاث سفن مشحونة بالكتب العربية ، وقاصـــدة بلاد المغرب فســـلبوها ، واحرقوا أكثرها ، وألقوا بالقليل الأقل منها فى قصر الاسكوريال ، ثم عمدوا الى هذا القليل فأشعلوا فيه النار ، ولم ينج منه الا مئات المجلدات .. ومن الغريب أن يعودوا اليوم الى الاحتفـــال بذكرى علماء الأندلس ، كما احتفلوا بذكرى ابن حزم فى العام الماضى . وفى ديسمبر عام ١٩٦٥ احتفلوا بذكرى ابن عربى بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد .

ويضاف الى ذلك ما صنعه الاحتلال الأوروبى لبلـــدان العالم الاسلامى ، من سرقة المخطوطات حينا ، ومن احراقها حينا آخر .. ومكتبات الحرم المكى والحرم النبوى النفيسة الثرية بالمخطوطات الاسلامية لم يبق منها شىء ، وكذلك المكتبات الاسلامية فى ليبيـــا وغيرها من الشعوب العربية ، وآخر ما شهدناه حرق مكتبة جامعة الجزائر بأيدى المستعمرين الفرنسيين ، وكان فيهـــا نحو ألف ألف مجلد .

ودع عنك ما صنعه الاستعمار من عرقلة الطريق أمام المثقفيـــن بالثقافة الدينية ، ومن صرف الشباب عن هذه الثقافة بكل وسيلة، ومن كتابات المتشرقين الذين يحاولون تشويه الاسلام وأصـــوله وثقافاته فى نظر الأجيال ، ولم تطاوعهم ألســـنتهم أن يقـــولوا : الحضارة الاسلامية أو الثقافة الاسلامية ، فأحلوا محلها كلمـــة الحضارة العربية والثقافة العربية كما فعل غوستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » . وقد خطط المستشرقون لدراسة التراث اللغوى والأدبى مناهج أصبحت هى السائدة فى كل مكان، وعادوا يخططون

لدراسة التراث الاسلامى نفسه ، ليصرفوا الشـــباب عن أفكار العلماء المسلمين ، الى الدرسات المملة التى لا تتصل بهذه الثقافة الا من بعيد .

وفى ذورة الأحداث التىصنعها الاستعماركان المسلمون يلوذون باللغة العربية ، لغة القرآن وثقافاته وعلومه ، حتى ليقـول كاتب جزائرى كانت معرفتنا بالحروف العربية تعصمنا ونحـــن نتعلم القراءة والكتابة بالفرنسية من أن يسحقنا ذلك التعليم الذى تقوم عليه حضارة كاملة .

الحرية أولا والعلم ثانيا

وفى عصر الاستعمار الغربى لبـــلاد المسلمين كانت هنـاك نظريتان :

الأولى تقول بتقديم العمل السياسى من أجل الحرية والنضال الوطنى على العلم والثقافة .

والثـــانية تنادى بأن السلاح الذى يجب أن تسـلح الأمم الاسلامية نفسها به لكى تتحرر من ربقة الاســتعمار ، هو العلم ، فالعلم هو الوسيلة لكسب معارك الحرية .

وشب خلاف بين أنصار هـــاتين النظريتين ، ولكن الركب الزاحف عرف كيف يشق طريقه بين الصخور والجبال .

وكانت الثقافة الاسلامية فى مقدمة الركب الســائر فى طريق الاستقلال ولطلبه ، وصارت هى أمضى أسلحتنا فى التحرر والتقدم وفى معارك النصر التى خاضتها مصر طول عصور التاريخ .

كان الاستعمار يحاول فرض لغته فى كل بلاد الاســلام شرقا وغربا ، ويعمل بكل وســيلة لعرقلة النمو الفكرى والثقــافى للمسلمين ٠

فلما قامت الحركات الوطنية والثورات القومية ونالت هــذه الشعوب أو أكثرها استقلالها ، بدأت حركة العلم والتعليم والبحث العلمى تشق طريقها وسط مقاومة الاستعمار وعراقيله وأشواكه ٠ واتجهت مصر الى العناية بانشاء المدارس والجامعات وتشجيع العلم والعلماء والى العناية بالتراث الاسلامى وبذلت فى هذا السبيل كل ما تستطيع ، وقضت على كل ما خلفه لنا الاستعمار من جراثيم ثقافية ومن قيم شوهاء ومناهج فاسدة ، ومعارف قصد بها خدمة الاستعمار وسياسته أولا وأخيرا ٠

حاضرنا تكريم لأمسنا المزدهر

واليوم ، وبعد أن تحررنا من الاستعمار والتبعية والعــوز ، وصارت أمورنا بأيدينا تتجه القافلة فى بلادنا الى غايات منطلقاتها ، فى تكريم العلم واعزاز العلماء ، وانشاء المدارس والجامعات والمعاهد والمجامع العلمية ، ودور الكتب ٠٠ وقد استنت الدولة للعلم عيدا تكرم فيه علماءها ونابغيها وتوزع عليهم الجوائز الطائلة ٠

وفى عيد العلم العاشر وقف الرئيس جمال عبد الناصر ينــادى بالتزام العلم حيال الحرية والسلام والحق ، ويهيب بشرف العلماء أن يجدوا فى العمل من أجل مستقبل بلادهم ورفاهيتها ٠

وفى عيد العلم الحــادى عشر وقف الرئيس أمام جمــاهير العلماء يقول :

« اننى لا أرى انقطاعا بين الماضى والحاضر ، وأرفض أن أتصور وجود فراغ بين مراحل التطور لشعب واحد » ٠

ويقــول :

« ان مجتمعنا أعطى فرصة لحرية الفكر والثقافة غير متاحة فى كثير من البلدان » .

كما أكد فى خطابه رعاية الدولة للقديم وعنايتها بالجـــديد ، وتشجيعها له .

وهكذا أصبحنا نرى فى جامعاتنا ومعاهدنا ومراكز البحــوث العلمية فى بلدنا ، وفى مجامعنا العلمية ، وفى كل فروع الثقــافة فى وطننا مظهرا قويا لاستقلالنا الفكرى والحضارى ، وأساســا سليما لبناء حاضرنا على أسس متينة يربطها بماضينا المزدهر أوثق الصلات والروابط .

وللثقافة نصيبها الأوفى فى مجتمعنا الجديد ، فهى تتمثل فى جامعاتنا المدنية وفى جامعة الأزهر بكلياتها الدينية والعمليـــة فى صورة رائعة مشرقة لخلق فكر جديد مبدع موهوب يعمل من أجل الاسلام والعروبة ، ويجد فى خدمة الحضارة والانسانية والســلام العالمى ويسلح نفسه بالقوة التى تحميه من مؤامرات الاســـتعمار والصهيونية ومؤامراتهما الدنسة .

والمستقبل للشعب العربى والاسلامى ، لأنه يحمل من مواريث العلم والثقافة والحضارة ما لا يستطيع أن يبذه فيه شعب آخر .

هيأ الله للمسلمين الخير ، وجمعهم على كلمة الحق والوحـــدة والســـلام .